Université
Aboubekr Belkaïd
Tlemcen

جامعة
أبو بكر بلقايد

جامعة تلمسان

قسم العلوم الاجتماعية "شعبة الأنثروبولوجيا"

السنة اولى ماستر. تخصص انتربولوجيا

محاضرات

مقياس كتابة مشروع بحث

الدكتورة بكوش المولودة قشيوش نصيرة

2020

المحاضرة الخامسة

أهمية المنهج التاريخي في البحث الأنثروبولوجي

مقدمة:

لايستطيع الباحث الأنثروبولوجي أن يفسر أي ظاهرة اجتماعية إلا بالبحث في أصولها وجذورها التاريخية. ولا يعالج أي مشكلة اجتماعية إلا في إطارها التاريخي أي من خلال دراسة ماضي المشكلة وجذورها. وقبل الحديث عن هذه الأهمية يستحسن التحدث أولا عن بعض المعاني والتساؤلات التي تشمل بعض المصطلحات ومضامينها.

أ- تحديد المصطلحات (المفاهيم):

1. تعريف التاريخ:

التاريخ من الناحية اللغوية الزمن وبيان الوقت، فكان يقال مؤرخ الكتاب، أي بين وقت كتابته، أما المعنى العام لكلمة تاريخ –كما يرى أغلب المؤرخين – فهو ماضي الإنسان، لكن بعض المؤرخين يرون أن هذه الكلمة تعني تلك الأحداث التي وقعت في الماضي، والتي تقع في الحاضر، والتي يمكن أن تقع في المستقبل.[1]

فالتاريخ إذن هو سجل مسيرة البشرية وهو المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية، أو هو ذلك السفر الخالد الذي يحوي بين دفتيه كل التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي سرت بها البشرية منذ قدر للإنسان أن يترك آثاره على الأرض حتى تنتهي الدنيا وما عليها.[2]

---

[1] عادل حسن غنيم، جمال محمود حجر، في منهج البحث التاريخي، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط3، 2012،ص19.

[2] المرجع نفسه، ص19.

وأما لفظ التاريخ فتطلق تارة على الماضي البشري وتارة على الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية أخباره أو العلم المعني بهذا الموضوع.[1]

2. تعريف الأنثروبولوجيا:

واجه الإنسان منذ خلق بمجموعة من التساؤلات كلها كانت تثير التعجب مثل من هو هذا الإنسان؟[2] من أين أتى؟ لماذا قام بممارسة بعض الأفعال؟ ولماذا يترك بعض الأفعال ويقوم بأخرى؟ وغيرها من الأسئلة الكثيرة.

وتعد الأنثروبولوجيا العلم الذي استطاع الإجابة على تساؤلات الإنسان خلال القرون الماضية من عمر الإنسان على الأرض وذلك لأن الأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان العاقل وأتباعه نظرا لأن عالم الإنسان المتخصص هو نفسه عضو في الجماعة الإنسانية التي يقوم بدراستها وقد يكون من الصعب عليه في بعض الأحيان تحقيق الموضوعية التي يمكن أن يحققها علماء آخرين مثل علماء النبات والحيوان وقد يتحمل الأنثروبولوجي أعباء دراسة الإنسان من وجهة نظر موضوعية وحيادية وعلمية ويهدف إلى أن يصل إلى فهم حقيقي وغير منحاز واضعا في الاعتبار الاختلافات الإنسانية.[3]

3. تعريف المنهج التاريخي:

هو المنهج الإسترادادي ويقوم على استرداد وقائع وأحداث الماضي، ووضعها وتسجيلها وتحليلها وتفسيرها، على أسس منهجية علمية دقيقة، بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات لا تساعدنا على فهم الماضي فحسب، وإنما تساعد في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل وهذا هو منهج علم التاريخ.[4]

---

[1] **المرجع نفسه، ص19.**

[2] **فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص15.**

[3] **عادل حسن غنيم، المرجع السابق، ص29.**

[4] **موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص105.**

ويمكن باتباع المنهج التاريخي دراسة أحداث تاريخية معينة وربطها والتوصل إلى إدراك بعض العلاقات السببية بينها، كما فعل ابن خلدون.

وليس المنهج التاريخي مهما في مجال علم التاريخ فحسب بل إنه مهم في مجالات أخرى مثل التربية وعلم النفس والأنثروبولوجيا وغيرها.

ويتضمن المنهج التاريخي كأي منهج مسعى خاصا ينبغي على الباحث بادئ الأمر أن يجمع الوثائق المتنوعة[1] مثل: السجلات والتقارير الرسمية، التقارير الصحفية، روايات شهود العيان للأحداث التاريخية الهامة، الآثار، المذكرات العامة والمراسلات الشخصية والسير الذاتية، الدراسات والكتابات التاريخية وغيرها...

4. البحث الأنثروبولوجي والتاريخ:

لا يمكن لدارس الأنثروبولوجيا أن ينجز دراسته بنجاح ما لم يعتمد على "**التاريخ**". ذلك أن فهم واقع بناء المجتمع في لحظة معينة يتطلب الرجوع إلى الماضي والتعرف على تطوره خلال الزمن، فلا يمكن أن يكون هناك مجتمعا وليد لحظة زمنية معينة، ويلاحظ أننا يمكن دائما أن نتعرف من ظواهر الحاضر على الماضي، ويمكن أن نتعرف على الحاضر من خلال دراسة الماضي.[2]

وتعتمد الدراسة في الأنثروبولوجيا على المنهج التاريخي للكشف عن تاريخ الثقافة، كما تعتمد على هذا المنهج لتكشف عن طبيعة البحث الأركيولوجي (الأثري) الذي يمدنا بالأدلة المباشرة لبناء الأحداث التاريخية (الترتيب التاريخي).[3]

وعلى ذلك فالمنهج التاريخي يعطي أساسيا في دراسة العمليات الثقافة. ويرجع الاهتمام بالبحث عن الأصول التاريخية للثقافة إلى القرن التاسع عشر، وهو اهتمام ناشئ منتصور العلماء للثقافة على أنها حصيلة للنشاط البشري.[1]

---

[1] **فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، المناهج الأنثروبولوجية وتطبيقاتها الميدانية، دار المعرفة الجامعية، ص54.**

[2] **المرجع نفسه، ص55.**

[3] **المرجع نفسه، ص55.**

وقد اضطر العلماء إزاء النقص الشديد في المعلومات الاثنوجرافية المؤكدة عن ماضي تلك الثقافات إلى التاريخ الظني أو التخميني " ومن الجدير بالذكر أن نعرض للتجربة الحقلية الإفريقية التي استحوذت على معظم اهتمام علماء الأنثروبولوجيا في بريطانيا في مجال الدراسة الحقلية وهي تجربة ذات أهمية كبيرة على أية حال في هذا المجال. ولقد أجريت الدراسات الحقلية الكلاسيكية ل**مالينوفسكي و راد كليف براون** بين جماعات محلية متمايزة منعزلة صغيرة تقوم بوظائفها كما كانت دائما لفترات طويلة فلم يكن هناك من الأسباب التي تجعل من الضروري دراسة تاريخها حتى إذا كان هذا أمرا ممكنا فقد كان الشيء الوحيد الذي يمكن دراسة الحاضر الذي تعيشه تلك المجتمعات وذلك على الرغم من إمكانية الاعتماد على التخمين في تتبع الماضي، وهذا التخمين طبعا لن تكون له فائدة حيث لا تتوفر أي بيانات مؤيدة أو معارضة له لمراجعته أو التحقق منه، وهنا يقول آخر تجد الاتجاه الوظيفي متسقا تماما مع طبيعة المادة الاجتماعية المتاحة.[2]

ولكن عندما اتجهت الدراسات الأنثروبولوجية إلى الاهتمام بالمجتمعات الإفريقية " المعقدة" قد حدثت بالتالي ظروف مختلفة تماما فقد كان لبعض هذه المجتمعات سنوات طويلة من الاحتكاك الثقافي وكان من الواضح تماما أنها في موقف مختلف غاية الاختلاف عما كان عليه الأمر من قبل، فقد خضع البعض منها للقهر بالقوة المسلحة، وقد تغير البعض منها في صورة راديكالية بتأثيرات اقتصادية واجتماعية أخرى وهي في كل الأحوال لم تكن فقط تمر بتغيرات ثقافية واجتماعية ولكنها أيضا كانت تمثل أبنية أكثر اتساعا وتعقيدا مقارنة بالمجتمعات التي سبقت دراستها، وقد تزايد بوضوح أن ظروفها الحالية لا يمكن أن تفهم بدون المعرفة بتاريخها الحديث.[3]

---

[1] **محمد عبده محجوب، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دراسات نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ص66.**

[2] **المرجع نفسه، ص66.**

[3] **فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص14.**

كما يمكن للباحث الأنثروبولوجي الرجوع إلى التراث باعتباره مصدرا من مصادر التاريخ، وذلك عند غياب السجلات والوثائق التاريخية، ومن الباحثين الأنثروبولوجيين الذين دافعوا عن أهمية التراث الشفاهي كمصدر تاريخي نجد **سابير** E. SAPIR**و** **تيت** D.TAITوهذان يريان أن التراث الشعبي وعلى وجه الخصوص الحكايات الشعبية والأساطير والتي تحتوي في الواقع على معلومات يمكن الوثوق فيها ومثل هذه المعلومات تتلخص في معلومات عن أصل القبائل وقد أوضح **جوليد نفيرز** VEISINأنه على الإثنولوجي أن يتابع التراث حتى يتمكن من الحصول على مادة أكثر كما يمكن أن تكون هذه المادة أكثر قيمة وأكثر وضوحا وذلك في غياب السجلات المكتوبة كما أوضح SAPIR ثقته في التراث الشعبي، وأشار إلى أن تراث الهنود الحمر مثل قبائل البيبلو PEBLOوالناهولت NAHOULT وغيرها يمكن الاعتماد على تراثها خصوصا وأنه يحتوي على معلومات عن الهجرات وحركة القبائل والقوافل.[1]

كما أشار بعض الإثنولوجيون أن التراث يحمل معلومات عن الأحداث حتى ولو أن لب الحقيقة التاريخية كانت مغلفة بالخرافات كما أنه لا يمكن أن ينكر أن الحكايات الشعبية تحمل في طياتها أسماء الأسلاف والأزمنة والأماكن والوسائل المستخدمة في التفكير وأسماء القبائل والمواقف العامة التي توصف في الخطابات الشعبية والأساطير.[2]

إن الاهتمام بتاريخ الانسان يعتبر من بين المصادر الرئيسية للدراسات الأنثربولوجية، وقد تمثل ذلك في الدراسات المقارنة للمجتمعات والنظم الاجتماعية، وفي محاولة إعادة بناء تاريخ المجتمعات، فقد اعتمد كل من SAPIR و Bachofen و Edward TAYLOR وغيرهم على المصادر التاريخية في إقامة علم اجتماع مقارن عن الثقافة والمجتمع[3] وإذا انتقلنا إلى الدراسات الأمريكية المعاصرة سنجد أيضا اهتمام واضح بالمصادر

---

[1] **المرجع نفسه، ص15.**

[2] **المرجع السابق، ص57.**

[3] **المرجع السابق، ص58.**

التاريخية فيما يعرف اصطلاحا باسم "**الذاكرة الثقافية**"حيث تعتمد المدرسة التاريخية على ذاكرة كبار السن.[1]

ويعتمد علماء الأنثروبولوجيا المهتمين بتاريخ الشعوب على ثلاث مصادر ومناهج رئيسية في تحقيق أهدافهم[2] وهي:

- الوثائق المكتوبة.
- التراث الشفهي.
- البحث الحقلي.

وعن أهمية التاريخ في الأنثروبولوجيا يرى Evans Richard أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية أقرب في طبيعتها إلى العلوم الانسانية عموما وإلى التاريخ بوجه خاص.

كما يرى Levi Strauss أن التاريخ والأنثروبولوجيا يشتركان في أصل واحد، فهو يذهب مع المؤرخين إلى أن معرفة الماضي تعتبر ضرورية لفهم أي ظاهرة اجتماعية، كما أنه يعتقد مع الأنثروبولوجيين بأن تتبع تاريخ المجتمع يمكننا من تحديد ما هو دائم في التيار الاجتماعي.[3]

نفهم مما سبق أن Levi Strauss يعترف بضرورة التعاون بين المؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا.

فهناك أهمية بالغة في دراسة الماضي، لأن حاضر الانسانية ومستقبلها في كثير من جوانبه نتاج عوامل وتطورات تاريخية أدت إلى ما نحن فيه من أوضاع ومشكلات، وما أحوجنا إلى فهم جذور تلك الأوضاع والمشكلات، علينا أن نستفيد (كما يقول بعض الأنثروبولوجيين) من

---

[1] **المرجع السابق، ص58.**

[2] **المرجع السابق، ص58.**

[3] **عادل حسن غنيم، المرجع السابق، ص19.**

خبرة العصور السابقة فنعالج بعض قضايانا، ونستلهم من الماضي بعض آمالنا، ونتطلع إلى غد أكثر إشراقا وأوفر أمنا.[1]

كما يرى Taylor أيضا " أن الأنثروبولوجيا تعتبر دراسة تاريخية تهتم بدراسة تاريخ الثقافة البشرية منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى اليوم بحيث لا يمكننا فهم تاريخ الثقافة العامة أو الخاصة في أي مجتمع دون النظر إلى الثقافة باعتبار أنها عملية تاريخية ذات طبيعة متطورة ومستمرة.[2]

[1] **مصطفى عمر حمادة، الأنثروبولوجيا وثقافات الشعوب، دار المعرفة الجامعية، ص65.**

[2] **فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم، المرجع السابق، ص69.**